تقديم مخطوط "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" لابن صعد التلمساني (ت 901هـ)

الاستاذ بوداود عبيد

جامعة مصطفى اسطمبولى- معسكر

ينسب كتاب **"النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب"** لابن صعد التلمساني المتوفى بالديار المصرية سنة 901 هـ. ولقد ورد التعريف بابن صعد بنفس العبارات تقريبا عند كل من ابن مريم التلمساني (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان)، وأحمد بابا التنبكتي (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، والحفناوي أبو القاسم محمد (تعريف الخلف لرجال السلف - القسم الأول)، حيث جاء في ترجمته ما يلي:

"من أكابر علمائها الفقيه العالم العلامة المحصل مؤلف النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب وتأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وروضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين وهم الهواري وإبراهيم التازي والحسن أبركان، وأحمد بن الحسن الغماري. وفيه يقول بعض فضلاء الأندلس وهو محمد العربي الغرناطي:

إذا جئت لتلمسان فقل لصنديدها ابن صعد

علمك فاق كل علم مجدك فاق كل مجد

في أبيات. أخذ عن جماعة منهم الإمام خاتمة العلماء سيدي محمد بن العباس والحافظ التنسي والإمام السنوسي. وتوفي بالديار المصرية في رجب سنة 901 إحدى وتسعمائة رحمه الله تعالى"[1].

1-ابن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسانّ**، تقديم عبد الرحمن طالب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دون تاريخ، ص251-252. =

والظاهر أن كتاب النجم الثاقب ظل غير معروف في المشرق الإسلامي بدليل عدم تردده في كتب التراجم أو الكتب التي اعتنى أصحابها بجمع المصنفات, فلم نعثر له على أثر في كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، في حين أورد صاحب إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (إسماعيل باشا) عنوانا يقترب من مؤلف ابن صعد وهو "**النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب**" لكن نسبه خطأ لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقري التلمساني (ت 758هـ)[1] على اعتبار أن المقري التلمساني لم تورد له المصادر مصنفا يحمل هذا العنوان.[2]

وعلى الرغم من الأهمية التي يكتسبها كتاب "**النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**"، إلا أنه لا يزال مخطوطا، ولقد أطلعت على النسخة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، الحاملة للرقم ك 1292، وتمكنت من تصويرها كاملة على الورق. والتي على ضوئها أحاول التعريف بهذا الكتاب المخطوط. ولقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله نسختين أخريتين للمخطوط متوفرة لدى المكتبة الملكية (الحسنية) بالرباط، واحدة تحمل رقم 2491 استغلها في التعريف بابن صعد وكتابه ضمن موسوعته

=راجع كذلك: التنبكتي أحمد بابا، **كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، ص330. والحفناوي أبو القاسم محمد، **تعريف الخلف برجال السلف**، الطبعة الثانية، تونس، المكتبة العتيقة، 1405هـ / 1985 م، القسم الأول، ص151.

1- اسماعيل باشا، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1992م، المجلد الرابع، ص626.

2-"التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى القرشي اللغوي المقري التلمساني. قاضي الجماعة بفاس المتوفي في ذي الحجة من سنة 758 ...من تأليفه إقامة المريدين في التصوف. والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من معاني السنة وآي الفرقان، الحقائق والرقائق، رحلة المتبتل. لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض" اسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ /1992م، المجلد السادس، ص160.

وورد في النيل: " ... وله تأليف ككتاب القواعد... وكتاب الحقائق والرقائق في التصوف... وكتاب التحف والطرف... واختصار المحصل لم يتم وشرح الخونجي، وكتاب عمل من طب لمن حب... وكتاب المحاضرات..." التنبكتي أحمد بابا، المصدر السابق، ص254.

تاريخ الجزائر الثقافي، وإن لم يتعد هذا التعريف الصفحتين، وأخرى لم يستغلها و لم يطلع عليها وتحمل رقم 2721.[1]

يتألف المخطوط من ثمانية أجزاء، غير أن النسخة التي اعتمدت عليها تتوفر على ثلاثة أجزاء فقط، وهي الجزء الأول والرابع والثامن. ولقد جاء هذا التأليف بطلب من السلطان الزياني أبي عبد الله محمد المتوكل (866هـ – 873هـ)[2]، ذلك ما أثبته ابن صعد في مقدمة الكتاب بقوله: "أشار بجمعه وانتقائه من دواوين هذا الفن وأجزائه، من جعل الله طاعته من اللوازم، وأيام دولته كالأعياد والمواسم، باسط العدل والأمان، المستولي على أمر الإحسان، المنتشرة مفاخر عدله ومآثر فضله في سائر الأقطار والبلدان، علامة أمراء المؤمنين، المخصوص بعناية رب العالمين أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين، مولانا أبو عبد الله محمد بن مولانا المتوكل على الله أمير المسلمين، تاج الملوك والسلاطين، محب أهل العلم والدين، وعميد أولياء الله المتقين، مولانا أبو عبد الله محمد أحد الخلفاء الراشدين، أئمة الهدى والدين، أيده الله بالنصر المبين...

1- سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الجزء الأول، ص75.

2-ألف فيه التنسي محمد بن عبد الله (ت 899هـ/ 1494م) كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. حقق منه الدكتور محمود بوعياد جزءا سماه تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1405هـ/ 1985م. لم يكمل التنسي سيرة هذا الملك، وكان آخر ما ترجم له في الكتاب. ومما جاء في هذه الترجمة: " ثم بويع الملك الكامل، الماجد الفاضل، الغمام الهاطل، الأسد الباسل، الفذ الفرد، القسور الورد، تاج الأملاك، وبدر الأفلاك، ومنير الأحلاك، سر دهره، ونخبة عصره، وزين مصره، وحيا قطره، الذي وضعت في كفه يد التجارب، مرآة العواقب، ونجدته تصاريف الدهور، وعرفته بمصائر الأمور، وركب من صروفها العصب والذلول، وتجشم الحزون والسهول. وجاد بأنفس العلائق وأنعم، وأسدى في الإحسان وألحم، وأنجد في طلب المعالي وأتهم، وأسرج في تحصيل المكارم وألجم، فأربى على ملوك العصر، بما أربت به الشمس على البدر، والبحر على القطر، والثمر على النور وخفقت بحضرته ألوية الجلال، وأضاءت بفنائها بدور الكمال، ورسخ له في المعالي قدم ثابت، مولانا أبو عبد الله محمد، ابن مولانا أبي زيان محمد، ابن مولانا أبي ثابت ثبت الله نعيما ولاه من خلافته قدمه، ورفع على سائر أعلام الملوك علمه، وأبقاه للمجد يعلي معالمه ويحيي مكارمه، فهو اليوم ملك حضرته الكمال، المرتقي قوة ذروة الجلال، لا زال النصر له خديما، والسعد له نديما. " التنسي، المصدر نفسه، ص255-256. كما نظم فيه قصيدة مدح طويلة تتألف من مائة وأربعة أبيات، مطلعها:

أرقت لدمع من جفوني ينحط   كنثر نفيس الدر إن خافه السمط

فقابلت كريم تلك الإشارة بقبول البدار ولسان البشارة. والله أسأل أن ينفعه بجميل قصده وأن يعينه على ما قلده بركة أولياء حزبه وجنده"[1]

ولقد انتهى ابن صعد من تأليفه حسبما ورد في خاتمة الجزء الثامن والأخير يوم السابع عشر من شهر صفر عام إحدى وتسعين وثمانمائة، حيث يقول: "تم الجزء الثامن من كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب. وبه كمل جميع الكتاب بحمد الله وجميل عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله ... وافق الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك، سابع عشر من شهر صفر عام إحدى وتسعين وثمان مائة عرفنا الله عوارف عبادته وخولنا من جزيل بركاته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكافة ذريته وسلم تسليما كثيرا والحمد لله أولا وأخيرا".[2]

وهكذا يتبين أن ابن صعد ألف هذا الكتاب وهو في أواخر حياته، قبل أن ينتقل إلى المشرق، ولا نعلم عن أمر هذا الانتقال وأسبابه شيئا، هل كان بدافع الحج؟ أم الرغبة في تغيير الأجواء؟ أو الهروب من الفتن السياسية التي عرفتها المنطقة وقتها؟.

أما النسخة التي استعملناها في هذا التقديم، فهي تعود إلى سنة تسعين تسعمائة هجرية، وكانت بيد الناسخ عبد الله بن عمر بن عثمان ذلك ما ورد في خاتمة المخطوط: "وكان الفراغ من نسخه في يوم الجمعة قبل صلاة الظهر خامس والعشرون من جمادى الأولى عام تسعين وتسعمائة على يد العبد المعترف بالعصيان الراجي رحمة الرحمن المتوسل إليه بأوليائه وأصفيائه وأحبائه أهل الفضل والامتنان عبد الله بن عمر بن عثمان بن عبد الواحد بن عمر بن داوود الترغي وطنا. نفس الله كربته وغفر حوبته ووالديه والمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين..."[3]

1-راجع المصدر نفسه ص ص 258-271.
2-ابن صعد التلمساني، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، الرباط، الخزانة العامة، رقم ك1292، و1و.
3- ابن صعد، المخطوط نفسه، و128و.

وتظهر روح التصوف بارزة سواء في إشارة السلطان بهذا التأليف، أو قبول ابن صعد هذا العمل والانكباب على إنجازه، أو دوافع الناسخ في نسخ هذا الكتاب.

لم يكتف ابن صعد بالترجمة لمتصوفة وأولياء المغرب الأوسط (الجزائـــر) أو المغـــرب الإسلامي فحسب، بل شمـــل كتابـــه عدد كبير من متصوفـــة الشـــرق الإســـلامي والمغرب والأندلس أي كل العالم الإسلامي، كما أنه لم يتقيد بالعصر الذي عاش فيـــه، وإنما عاد إلى العصور الإسلامية الأولى. وإن الغرض من هذا التأليف حسب مـا ورد في مقدمته هو: "أما بعد فهذا كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المنـــــاقب. يضم أعلامهم، وينشر مآثرهم وأيامهم".[1] أي أخبـــار الصوفيـــة للتعـــرف عليهـــم والإقتداء بسيرهم.

ولقد رتب من ترجم لهم حسب حروف المعجم، حيث اقتصر في الجزء الأول علـــى من يبدأ اسمه بحرف الألف لا سيما إبراهيم وأحمد، فترجم عبر سبعة وأربعين ورقة على وجهين لاثنين وثلاثين شخصية صوفية ابتدأها بإبراهيم ابن أدهم وختمها بـــأحمد بـــن عاشر. وممن ترجم لهم نذكر: إبراهيم بن أحمد الخواص، إبراهيم بن أحمد القـــيرواني، إبراهيم المصمودي، إبراهيم التازي، أحمد بن هارون الطوسي، أحمد بـــن أبي الربيـــع المالقي، أحمد بن العريف، أحمد بن الحسن أبو جعفر الزيات، أحمد أبو العباس الســـبتي، وغيرهم.

أما الجزء الرابع فخصه بحرف الميم، ويتراوح ما بين الورقة رقم 48 والورقة رقم 58و. اقتصر فيه على سبع عشرة ترجمة منهم: محمد بن أحمد بن إسماعيل بن سمعون البغـدادي أبو الحسن، ومحمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، ومحمد بن أحمد بن عبيد الله الإشـبيلي، ومحمد بن حسن التاونتي المعروف بابن الميلي.

1- ابن صعد، المخطوط نفسه، و128ظ.

أما الجزء الثامن فاشتمل على حروف العين والغين والفاء والقاف والسين والشين والهاء والواو والياء. اشتمل على خمسة عشر صوفيا. ويمتد ما بين الورقة 86و إلى الورقة 128. وممن جاء في هذا الجزء نذكر فَضيل بن عياض التميمي أبو علي، سفيان بن سعيد الثوري أبو عبد الله عالم الكوفة وزاهدها، شعيب بن الحسين الأندلسي سيدي أبو مدين، واضح بن عاصم بن سليمان المكناسي أبو مطهر، وغيرهم.

تفاوت حجم الترجمة من متصوف لآخر، فهناك ترجمات مستفيضة تأتي في عدة أوراق مثل ترجمة إبراهيم التازي التي جاءت في تسعة وثلاثين ورقة على وجه واحد، بينما هناك ترجمات أخرى لا تتعدى الورقة الواحدة. ويظهر أن هذا التفاوت يعود لحجم ومستوى ثقافة ابن صعد للشخصيات التي ترجم لها. كما أنه في الكثير من الأحيان لا يتقيد صاحب الكتاب بالشخص الذي يترجم له، حيث يورد استطرادات كثيرة. وهذا ما يكشف عن سعة ثقافته. ولقد استخدم في عمله هذا أكثر من مائة كتاب حسبما يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله.[1]

يتشكل المخطوط من مائة وثمانية وعشرين ورقة مكتوبة على وجهين، وتتكون كل ورقة من ثلاثة وعشرين سطرا من الحجم المتوسط. وإن الخط مقروء ماعدا بعض الأوراق التي تصعب قراءة أطرافها العلوية بسبب آثار الحبر أو الماء.

المخطوط ينتهي عند الورقة 128 تليها أوراق غير مكتملة الكتابة وبخط غير واضح، مسجل عليها في الأخير رقم (ي 1292 IV) وبجانبها مجموعة من الأدعية.

ونشير في الأخير أن لابن صعد – كما سبقت الإشارة إليه – كتابا آخر يحمل عنوان **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين،** اقتصر فيه على الترجمة لكل من محمد بن عمر الهواري وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الغماري. والكتاب موجود تحت الرقم 2596 بالمكتبة الوطنية مصلحة المخطوطات الجزائر

1- ابن صعد المخطوط نفسه، و ا و.

العاصمة. وهو مكتوب بخط واضح وكبير الحجم. ولقد تمكنت من الإطلاع عليه واستغلاله. ولقد قام الدكتور يحيى بوعزيز بتحقيقه، ومن المفروض أنه طبع بدار الغرب الإسلامي ببيروت. كما له قصيدة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، توجد ضمن مجموع في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د2404 من الصفحة 330 إلى 332.[1]

1- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص. 74.

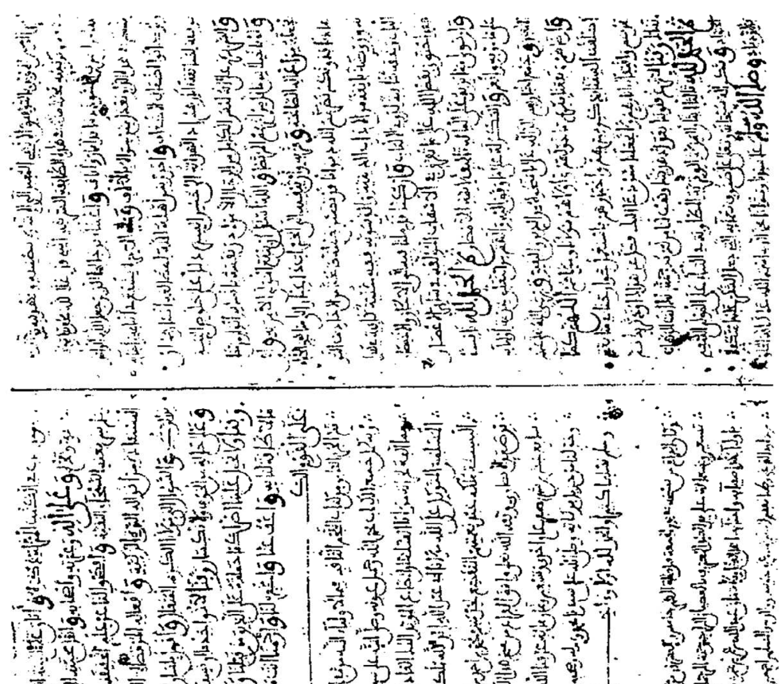

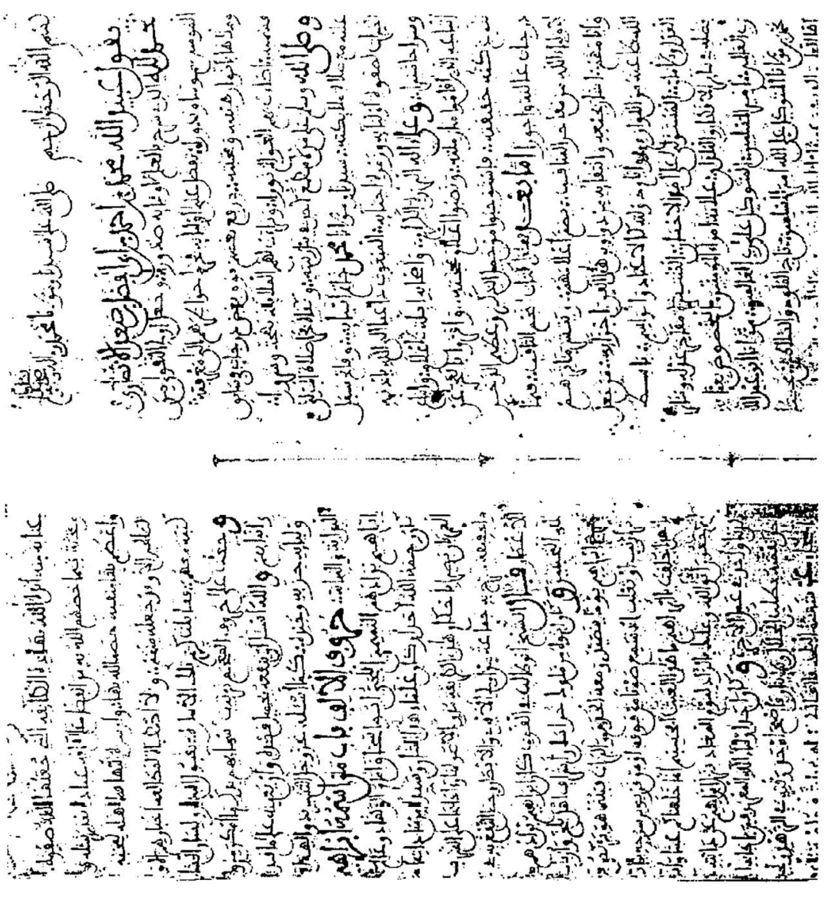

الورقة الأولى من مخطوط: النجم الثاقب